التلاوة القرآنية بين التـــدبر والإتبـاع

م.د. تاج الدين امجد عبد المنعم
جامعة تكريت / كلية تربية ـ سامرا /علوم القران

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين * وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد ... فإن الاشتغال بالقرآن من أفضل العبادات سواء أكان بتلاوته ، أم بتدبر معانيه ، أم بتعلمه وتعليمه ، فهو أساس الدين وقد أودع الله فيه علم كل شيء ، فانه يتضمن : الأحكام ، والشرائع ، والأمثال ، والحكم ، والمواعظ ، والتاريخ ، ونظام الكون ، فما ترك شيئا من أمور الدين إلا بينه ، ولا من نظام الكون إلا أوضحه ، قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] وليست الغاية من العناية بالقرآن الكريم أن يُحفظ ويُتعبد بتلاوته فحسب ، بل ليكون هاديا للناس في حياتهم ، وشريعة تحكم بها الأمة الإسلامية ، لتنتظم أمورها وتسعد في دنياها وآخرتها .

وانطلاقا من هذا ، فينبغي لكل مسلم بل يتحتم عليه أن يعرف أحكام هذا الكتاب الكريم ، وان يتعرف على آداب التعامل مع هذا الكتاب بتلاوته متدبرا معانيه متبعا إياه قلبا وقالبا قولا وعملا حتى يفوز برضا الرحمن سبحانه ، وهذا لعمري هو المعيار الحقيقي للتعامل مع القرآن الكريم .
ومن اجل هذا أحببت أن اكتب في هذا الموضوع الهام فجعلته تحت عنوان

(التلاوة القرآنية بين التدبر والإتباع)

وقسمته إلى : مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة

المبحث الأول : مفهوم التلاوة القرآنية وأهميتها وفضلها : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم التلاوة

المطلب الثاني : أهمية التلاوة القرآنية في التبليغ النبوي

المطلب الثالث : فضل تلاوة القرآن وتأثيرها

المبحث الثاني : آداب تلاوة القرآن : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الترتيل

المطلب الثاني : التدبر

المبحث الثالث : الإتباع : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إتباع القرآن والعمل به

المطلب الثاني : بعض المشاهد لاستجابة الصحابة للقرآن وانتهائهم عما حرم

وإما الخاتمة : فقد أودعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

وختاما : أسال الله تعالى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ، سائلا المـــولى العظـــيم أن يجعلـــه خالصا لوجهه الكريم ، وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه انه ولي ذلك والقادر عليه

المبحث الأول

التلاوة القرآنية وأهميتها وفضلها

لما كانت تلاوة ألفاظ القرآن الكريم وتدبرها وإتباعها هي أساس مدار هذا البحث ، فان هذا يقتضي التوسع في توضيح مفهوم التلاوة وبيان أهميتها في التبليغ النبوي وفضلها ، ولتحقيق ذلك انقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم التلاوة

المطلب الثاني : أهمية التلاوة القرآنية في التبليغ النبوي

المطلب الثالث : فضل تلاوة القرآن وتأثيرها

المطلب الأول

مفـــهوم التـــلاوة

اقترن لفظ (التلاوة) دون غيره من الألفاظ بقراءة القرآن الكريم لما له من دلالات تجعله دون غيره المعبر عن مراد الله تعالى من القراءة ، واهم مدلولين لهذا اللفظ :

أولا : بمعنى القراءة فتلوت القرآن تلاوة أي قرأته ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[1] ﴾[2] وعم به بعضهم كل كلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[3] سواء كانوا هم الملائكة ، أو غيرهم ممن يتلوا ذكر الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ[4] ﴾ ، قال عطاء[5]: على ما تحدث وتقص ، وقيل ما تتكلم به كقولك : فلان يتلو كتاب الله أي : يقرأه ويتكلم به ، ثم صارت التلاوة حقيقة عرفية في تلاوة القرآن الكريم وقد تكون قراءة لغيره لكن في النادر وعند التقييد بذلك .

وسميت القراءة تلاوة لان الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضا بالذكر ،والتلو : التبع[6] كما قال الثعالبي : (يقرؤونه حق قراءته وهذا أيضا يتضمن الإتباع والامتثال)[7] ، (فاستعملت التلاوة في القراءة لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على نسقه)[8] ، وفي قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[9] قرأ حمزة[10] والكسائي[11]: (تتلو) (من التلاوة ، أي : تقرأ ذكر ما قدمت

أو من التلوّ أي : تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو النار)[١٢] والتلاوة بمعنى القراءة من أعظم خصائص القرآن الكريم فالكتب المتقدمة لا يجب فيها هذه التلاوة . [١٣]

ثانيا : الإتباع : إذ (التاء واللام والواو أصل واحد ، وهو : الإتباع ، يقال : تلوته إذا تبعته)[١٤] والمراد بالإتباع هنا أمران :

أ- الإتباع اللفظي : بأن يتبع اللفظ في قراءة القرآن على هيئة مخصوصة ، فسميت قراءة القرآن تلاوة لأنه يتبع آية بعد آية ،[١٥] ومنه جاءت الخيل تتاليا أي : متتابعة [١٦]

ب- الإتباع العملي : ومنه تلا إذا اتبع [١٧] ، فعلى قارئ القرآن أن يتبع في قراءته ما انزله الله تعالى كما كان النبي ﷺ يتبع ذلك إذا قراءه عليه جبريل عليه السلام ، ويقال : كان يتلو كتاب الله ، أي : الذي يقرءاه ويعمل بما فيه ، فيكون تابعا له ، والقرآن يكون سائقا له وقائدا [١٨] ومنه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [١٩]، ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٢٠] ففيه توبيخ عظيم لمن فهم ، و (تتلون) تقرؤون الكتاب التوراة ، وكذا من فعل فعلهم وكان مثلهم ، وفلان يتلو فلانا أي : يتبع فعله [٢١] ، وإتباعه هنا يكون بامتثال الأمر والنهي ، (وروى سفيان الثوري [٢٢] في تفسيره عن أبي رزين[٢٣] في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [٢٤] أي : يتبعونه حق إتباعه)[٢٥] وقال قتادة [٢٦]: (هم أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله وعملوا بما فيه)[٢٧] .

والذي يبدو لي مما سبق – والله تعالى اعلم – انه شامل للمعنيين إذ يقول الإمام الغزالي [٢٨] (وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل القلب ، فحض اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحض العقل تفسير المعاني ، وحض القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار ، والإتمار ، فاللسان يرتل ، العقل يترجم ، والقلب يتعظ)[٢٩] .

المطلب الثاني

أهمية التلاوة القرآنية في التبليغ النبوي

قبل الحديث عن أهمية التلاوة في التبليغ النبوي ، رأيت من المناسب أن نعرف مفهوم التبليغ ومادته الأساسية لذا قسمت المطلب إلى ما يأتي :

أولا : مفهوم التبليغ ومادته الأساسية : التبليغ : البلاغ والبلوغ : هو الوصول ، من بلغ يبلغ بلوغا [٣٠] ، والإبلاغ : الإيصال ، وكذلك التبليغ [٣١] ، ويتبين من ذلك ما يأتي :

أ- إن القرآن المبلَغ به هو السبيل الذي يوصل إلى مطلوب الإنسان من السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، فالبلاغ ما يُتبلّغ ويُتوصّل به إلى الشيء المطلوب [٣٢] ، وتبلغ بالشيء : وصل به إلى مراده [٣٣]

ب- الاجتهاد في أداء الرسالة فقولك : (أراه من المبالغين في التبليغ ، بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد في الأمر)[٣٤] ، ومادة البلاغ الأساسية للنبي ﷺ هي القرآن كما قال تعالى :﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [٣٥] (٣) وقال تعالى :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ ﴾ [٣٦] أي : (مكة ومن حولها من أحياء العرب وسائر طوائف بني آدم من عرب وعجم)[٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [٣٨] ويظهر هنا أن وظيفة النبي ﷺ هي البلاغ والمادة الأساسية للتبليغ النبوي هو القرآن الكريم .

ثانيا : أهمية التلاوة القرآنية : تبرز أهمية التلاوة القرآنية في التبليغ النبوي في كثير من الآيات التي وردت في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ [٣٩] وقوله تعالى : ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ [٤٠] و (يتلو) هنا في موضع نصب نعت لرسول ومعناه يقرأ ، والتلاوة القراءة ، و (آيات الله) يعني القرآن [٤١] ، ولأهميتها أيضا فقد أُمر النبي ﷺ بمداومة التلاوة والحرص عليها كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ ﴾ [٤٢] وقوله تعالى﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ ﴾ [٤٣] ، فـ (اتل) (هنا أمر من التلاوة والدأب عليها)[٤٤] ولذا فلم يكن هم للنبي ﷺ صباح مساء إلا تبليغه تلاوة وتعليما ذلك لان (التلاوة أول ما يقرع السمع ، والتعليم الذي هو التفهم بعده)[٤٥]

المطلب الثالث

فضل تلاوة القرآن وتأثيرها

انزل الله كتابه الخالد (القرآن) لتتلوه الألسنة ، وتستمع إليه الآذان ، وتتدبره العقول ، وتطمئن به القلوب ، حتى أن العلماء ليذكرون في تعريف القرآن انه : (كتاب الله المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ الذي تعبدنا الله بالإيمان به وتلاوته ، وتدبر معانيه ...)[٤٦] ، ومن هنا جاءت آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ تحث على التلاوة وترغب فيها وتعد عليها بالثواب الجزيل والأجر العظيم قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤٧] .

وقال تعالى مثنيا على من كان ذلك دابة ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ (٤٨) .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (٤٩) ، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيت أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) (٥٠) . ولذلك نجد للقرآن الكريم تأثيرا بليغا في قلب الإنسان ، شهد به كل من سمعه من مسلم وكافر ، وهو ما جعل المشركين من أهل مكة

يحاولون التشويش عليه عند تلاوته ، خوفا على رجالهم ونسائهم وضعفائهم من سماعه ، فقد يتأثرون به ويؤمنون برسالة من بعثه الله به يقول تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (٥١) وقد كان بعض المشركين يسمعون للقرآن خلسة ، بعضهم من وراء بعض ، حتى يضبط احدهم الآخر متلبسا بسماع القرآن .

وسمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ آية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٢) فقال له : اعد علي ، فأعاد .. فقال : والله له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر (٥٣).

وقد أجرى بعض الأطباء المسلمين في مستشفى خاصة بولاية (فلوريدا) في أميركا ، تجارب على عدد من المرضى يسمعونهم القرآن ويسجلون بالأجهزة الحساسة مدى تأثير القرآن عليهم ، وفيهم المسلم وغير المسلم ، والعربي وغير العربي ، والعجيب أنهم وجدوا تأثير القرآن عليهم – جميعا – تأثيرا ايجابيا بنسب متفاوتة ، فالعربي المسلم غير العربي الذي ليس بمسلم ، والمسلم الذي ليس بعربي ولكن الكل تأثروا حتى الذي ليس بمسلم وليس بعربي ، وهذا يدل على أن في هذا الكتاب سرا عجيبا ، لا يوجد في أي كلام آخر من كلام البشر ، نثرا أو شعرا .(٥٤)

المبحث الثاني

آداب تـــلاوة القـــرآن

هنالك آداب ظاهرة وباطنة متنوعة لتلاوة القرآن أوردها العلماء (٥٥) وسأكتفي بذكر أدبين مهمين احدهما من الآداب الظاهرة والآخر من الآداب الباطنة وهما : (الترتيل والتدبر)(٥٦) وسيكون الحديث عنها بعون الله تعالى في المطلبين الآتين :

المطلب الأول

التـــرتيـــل

قراءة القرآن ليست كقراءة غيره من أنواع الكلام ولذا فهو كلام الله تعالى الذي ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [٥٧] ولذا فإن تلاوته لها آدابها الظاهرة والباطنة ومن آدابها الظاهرة (الترتيل) ومعناه : (التأني في القراءة والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل)[٥٨] و(يسن الترتيل في قراءة القرآن ، قال تعالى:﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [٥٩])[٦٠] هذا ما قاله السيوطي رحمه الله ، ولو قال قائل بوجوب الترتيل لكان اقرب إلى ظاهر ما يدل عليه الأمر القرآني ، فإن الأصل في الأوامر القرآنية أنها تفيد الوجوب ، والخطاب في الآية للنبي ﷺ أصلا وللأمة تبعا ، ولذا قال الزركشي : (على كل مسلم قرأ القرآن أن يرتله)[٦١]

وهذه العبارة أوفق من عبارة السيوطي – والله تعالى اعلم [٦٢] .

وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة : أنها نعتت قراءة النبي ﷺ قراءة مفسرة حرفا حرفا [٦٣] ، وفي البخاري عن انس ﷺ انه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مدا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم [٦٤] .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ أن رجلا قال له : أني أقرا المفصل في ركعة واحدة ، فقال : (هذّا كهذّ الشعر ، أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب ، فرسخ فيه نفع)[٦٥].

(واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع ، قالوا : وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل)[٦٦] ، ويستحب الترتيل للتدبر ، لأنه اقرب إلى الإجلال والتوقير واشد تأثيرا بالقلب ، ولهذا يستحب الترتيل للأعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن ، واختلف القراء هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة ، أم السرعة مع كثرتها ؟ وأحسن بعض الأئمة فقال : أن ثواب قراءة الترتيل اجل قدرا وثواب الكثرة أكثر عددها لان بكل حرف عشر حسنات [٦٧] ، وكمال التلاوة كما في البرهان للزركشي : تفخيم ألفاظه ، والإبانة عن حروفه ، وان لا يدغم حرف في حرف ، وقيل هذا اقله ، وأكمله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد ، أو تعظيما لفظ به على التعظيم [٦٨] ، قال الغزالي : (واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر ، فإن الأعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن ، يستحب له في القراءة الترتيل والتوءدة لان ذلك اقرب إلى التوقير والاحترام ، واشد تأثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال)[٦٩] .

المطلب الثاني

التـــــــدبر

من أعظم آداب التلاوة الباطنة (التدبر لمعاني القرآن) ومعنى التدبر : النظر في إدبار الأمور ، أي في عواقبها ومآلاتها ، وهو قريب من التفكر ، إلا أن التفكر : هو تصرف القلب أو العقل بالنظر في الدليل والتدبر : تصرفه بالنظر في العواقب [٧٠] .

وقد بين لنا منزل القرآن سبحانه انه لم ينزله إلا لتتدبر آياته ، وتتفهم معانيه يقول عز وجل يخاطب رسوله : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [٧١] ، ويقول تعالى في معرض الحث والتحريض ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [٧٢] (وصفة ذلك : أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسال ، أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو تنزيه نزه وعظم ، أو دعاء تضرع وطلب)[٧٣]

وروى أبو داود وغيره عن عوف بن مالك ﷺ قال : قمت مع النبي ﷺ ليلة ، فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسال ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ [٧٤] .

وقد روي عن علي ﷺ قال : لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا في قراءة لا تدبر فيها .

وقال ابن عباس ﷺ : لان أقرا البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا [٧٥] ، وذلك أن الأناة في القراءة تتيح الفرصة للتأمل والتدبر ، وهو الغاية المنشودة في القراءة ، والمتأمل في القرآن يجده (زاخرا بجوامع الكلم ، وجواهر الحكم ، وكنوز المعارف ، وحقائق الوجود ، وأسرار الحياة ، وعوالم الغيب ، وذخائر القيم ...) [٧٦] .

وإنما تدرك هذه الأمور بطول التأمل والتدبر ، لا بالسرعة والاستعجال .

وإذا لم يتمكن القارئ من التدبر في الآية إلا بترديدها فليرددها ، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ وصحابته والصالحون من سلف الأمة ، فعن أبي ذر ﷺ قال : قام رسول الله ﷺ بنا ليلة ، فقام بآية يرددها ، وهي ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [٧٧] ﴾ [٧٨] .

وقد جاء نحو ذلك من ترديد الآيات تدبرا وتأثيرا عن بعض الصحابة الكرام ﷺ .

- روي أن تميم الداري ﷺ قام بآية يكررها حتى أصبح أو كاد ، وهي قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون [٧٩]﴾[٨٠] .

- وروى إبراهيم عن علقمة قال : صليت إلى جنب عبد الله (يعني ابن مسعود) فافتتح سورة طه فلما بلغ ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا [٨١] ﴾ قال ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [٨٢] .
- وعن عروة بن الزبير قال : دخلت على أسماء بنت أبي بكر (يعني أمه) وهي تصلي ، تقرا هذه الآية ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [٨٣] ، فقمت : فلما طال علي ذهبت إلى السوق ثم رجعت ، وهي مكانها ، وهي تكرر الصلاة (يعني الآية)[٨٤] .

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من التابعين حتى قال بعضهم : أني لافتتح السورة ، فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها ، حتى يطلع الصبح .

وكان بعضهم يقول : كل آية لا افهمها ، ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا .[٨٥]

ويظهر مما سبق أن المسلمين كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن الكريم وتطبيق أحكامه وإقامة حدوده ، هم متعبدون كذلك بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية .[٨٦]

هذا ولما كانت الغاية المنشودة من التلاوة القرآنية المتأنية – كما أسلفنا – هي الوصول إلى مقام التدبر ، أحببت أن اذكر هنا ما ينبغي مراعاته من أعمال قلبية قبل التدبر وآداب باطنة أخرى في تدبر آيات الكتاب وتفهم معانيه وسيكون الحديث عنها كما يأتي :

أولا : الأعمال القلبية قبل التدبر :

للإمام الغزالي في (الإحياء) كلام نفيس فيما ينبغي مراعاته قبل التدبر من الأعمال وهي :

أ- فهم أصل الكلام : وهو فهم عظمة الكلام وعلوه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه ،

الذي هو : صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ؟ وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات ، هي صفات البشر ، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله ﷻ إلا بوسيلة صفات نفسه ، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه ، وسبحات نوره ولولا تثبت الله ﷻ لنبي الله موسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه ، كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا .

ب- التعظيم للمتكلم : فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر ، وان في تلاوة كلام الله ﷻ غاية الحظر ، فانه تعالى قال : چ پ يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [٨٧] وكما أن ظاهر جلد

المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا – بحكم عزه وجلاله – محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ، ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير ، وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ، ولا لنيل معانيه كل قلب .

ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول : هو كلام ربي ، هو كلام ربي ، فتعظيم الكلام تعظيم للمتكلم ، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله ، فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق بجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وان الكل في قبضة قدرته ، مترددون بين فضله ورحمته ، وبين نقمته وسطوته ، إن انعم فبفضله ، وان عاقب فبعدله ، وهذا غاية العظمة والتعالي ، فبالتفكير في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام .

ت- حضور القلب وترك حديث النفس : قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [٨٨] أي : بجد واجتهاد ، وأخذه بجد : أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره ، وقيل لبعضهم : إذا قراءت القرآن تحدث نفسك بشيء ؟ فقال : أو شيء أحب إلي من القرآن حتى احدث به نفسي ؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية ، وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم ، فإن المعظم للكلام الذي يقوله يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له ، فكيف يطلب الإنس بالفكر في غيره ، وهو في متنزه ومتفرج ؟ والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها .[٨٩]

ثانيا : الآداب الباطنة في التدبر :

هناك آداب باطنة متنوعة في التدبر أوردها الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء ، فينبغي لمن يريد أن يتدبر القرآن ويتفهمه بحق أن يتملى منها ويتخلق بها ، وسأذكر هنا بعضا منها بحسب ما يقتضيه المقام وهي كما يأتي :

أ- التخصيص : معناه أن يقدر في نفسه انه المقصود بكل خطاب في القرآن ، فينتقل من التعميم إلى التخصيص ، فإن قرأ أو سمع أمرا أو نهيا في القرآن ، قدر انه المأمور والمنهي أولا وبالذات ، وكذلك إن قرأ أو سمع وعدا بثواب أو وعيدا بعقاب ، قدر انه المبشر بالوعد أو المنذر بالوعيد ، وان قرأ أو سمع قصص الأولين والأنبياء وأقوامهم علم أن السمر أو تزجية الوقت بالأقاصيص غير مقصود ، وإنما المقصود أن يعتبر بما

قصه الله عليه ، ويقتبس منه الدرس والعظة ، ويأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٠) وقال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ ﴾(٩١) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه فيه من أحوال الأنبياء ، وصبرهم على الإيذاء ، وثباتهم في الدين انتظار لنصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا ، والقرآن ما انزل على رسول الله ﷺ خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ ﴾ (٩٢) وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٩٣) وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٩٤) وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٩٥) وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد ، فهذا القارئ الواحد مقصود ، فما له ولسائر الناس ؟ فليقدر انه المقصود ، قال تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ ﴾(٩٦) قال محمد بن كعب القرظي (٩٧) : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله .

وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله ، بل يقرأه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ، ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا ﷻ بعهوده ، نتدبرها في الصلوات ، ونقف عليها في الخلوات ، وننفذها في الطاعات ، والسنن المتبعات ، وكان يقول بعضهم : ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ أن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض .

وقال قتادة : لم يجالس احد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٩٨) .

ب- التأثر : وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ، ووجد يتصف به قلبه ، من الحزن والخوف والرجاء وغيره ، ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الأحوال على قلبه ، فإن التضييق غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴾(٩٩) ، ثم اتبع ذلك بأربعة شروط ﴿ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾(١٠٠) وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [١٠١] ذكر أربعة شروط ، وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [١٠٢] وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره .

قال بعض العلماء : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ، ولا اشد استجلابا للحزن ، من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره .

فتأثر العبد بالتلاوة : أن يصير بصفة الآية المتلوة ، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح ، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته ، وعند ذكر الكفار ، ما يستحيل على الله ﷻ – كذكرهم لله تعالى ولدا وصاحبة – يغض صوته ، وينكسر في باطنه ، وترتعد فرائسه خوفا منها ، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود (أقرأ علي) فافتتحت سورة النساء فلما بلغت : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [١٠٣] رأيت عينيه تذرفان بالدمع ، فقال لي (حسبك الآن)[١٠٤] ، وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية .

ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات في سماع الآيات ، فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا في كلامه ، وإذا قال : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [١٠٥] ولم يكن حاله حال التوكل والإنابة كان حاكيا وإذا قال : ﴿ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [١٠٦] فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة .

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات ، كان حظه من التلاوة حركة اللسان ، مع صريح اللعن على نفسه ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١٠٧] وفي قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [١٠٨] وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ [١٠٩] وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [١١٠] وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [١١١] إلى غير ذلك من الآيات ، وكان داخلا في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [١١٢] يعني التلاوة المجردة .

وقوله ﷻ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[١١٣] ، لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها .

ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره ، مثال من يكرر كتاب الملك في يوم مرات ، وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ، ومقتصر على دراسة كتابه ، فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ، ولذلك قال بعضهم : إني لأهم بقراءة القرآن ، فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت ، فاعدل إلى التسبيح والاستغفار .

والمعرض عن العمل به أريد بقوله ﷻ : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [١١٤] ولذلك قال رسول الله ﷺ (اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه)[١١٥] قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [١١٦] ، فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ، ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرني وقال : جعلت القراءة علي عملا ، اذهب فاقرأ على الله ﷻ فانظر بما يأمرك وبماذا ينهاك ، وبهذا كان شغل الصحابة ﷺ في الأحوال والأعمال [١١٧] .

ت- الترقي في تلاوة القرآن وتدبره : ويقصد به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله ﷻ لا من نفسه ، فدرجات القراءة ثلاث :

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرأه على الله ﷻ واقفا بين يديه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال .

الثانية : أن يشهد بقلبه كان الله تعالى يراه ، ويخاطبه بألطافه ، ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .

الثالثة : أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث انه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهم على المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين ، وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق ﷺ قال : والله لقد تجلى الله ﷻ لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون ، وقال أيضا : وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى

خر مغشيا عليه ، فلما سرى عنه قيل له في ذلك ، فقال : ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ، ولذلك قال بعض الحكماء : كنت اقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة ، حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه ، كنت اتلوه كأني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ ، ثم جاء بمنزلة أخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه ، وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم بالكلام .

قال الغزالي : وبمشاهدة المتكلم دون سواه ، يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى :﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١١٨) ، ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١١٩) فمن لم يره سبحانه في كل شيء فقد رأى غيره ، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي ، بل التوحيد الخالص إلا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل . (١٢٠)

المبحث الثالث

الإتبـــــــــــــاع

قبل الشروع في هذا الموضوع رأيت من المناسب أن أقف لنعرف معنى الإتباع

الإتباع : تبع من باب طرب وسلم ، وتبعه واتبعه إذا سار وراءه ، سواء أكان السير حسيا أم معنويا ، والإتباع المعنوي هو الاقتداء والامتثال قال تعالى﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ(١٢١) ﴾ (١٢٢) وسيكون الحديث عنه في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول

إتباع القرآن والعمل به

قال منزل القرآن عز وجل ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٢٣) ما رؤي غائب أشبه بحاضر ، ومنسي أشبه بمحتفى به ، من القرآن الكريم في حياة المسلمين ، أن كثيرا من امة القرآن اليوم يحفظون كلام الله اليوم عن ظهر قلب ، ويتلونه أو يستمعون إليه صباحا ومساءا ، آناء الليل وأطراف النهار ، وملايين آخرين يزينون بآياته الجدران ، أو يتبركون بحمل المصحف في جيوبهم أو في سياراتهم ... ، ومع هذا كله ، نرى كثيرا من المسلمين مقصرين في حق القرآن ابلغ تقصير ، فالقران لم يصبح هو الموجه الأول لعقولهم ، ولا المؤثر الأول في قلوبهم ، ولا المحرك الأول لسلوكهم ولا المغير الأول لما بأنفسهم ومظاهر

العناية بالقرآن التي اشرنا إلى جملة منها بعضها يتصل بالشكل لا بالجوهر بالصورة لا بالحقيقة.[١٢٤]

أما الرعيل الأول من الصحابة الأجلاء والصالحين من هذه الأمة المرحومة فقد أدركوا أن بركة القرآن ليست في حمله ولا تزيين البيوت به ... ، إنما بركة القرآن حقا في إتباعه والعمل به ، وهو ما ذكره القرآن نفسه حين قال تعالى ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٢٥] فالبركة كما تشير الآية الكريمة في إتباعه واتقاء الله به ، وبهذا ترجى رحمة الله (لعلكم ترحمون) . (١٢)

وحقيقة إتباع القرآن (أن نجعله لنا إماما ، يقودنا ونحن نمضي وراءه ، لا أن نجعله خلفنا ، ونتخذه وراءنا ظهريا ، فمن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعل القرآن وراءه زخّه في قفاه حتى يرديه في النار وبئس القرار [١٢٦]) .

ومن هنا فإننا نريد أن يكون للقرآن تأثيره العملي في حياتنا ، كما اثر في حياة الصحابة والمسلمين الأوائل وصنع منهم رجالا والرجال قليل .

وذلك أن طريقة حفظهم للقرآن تعينهم على العمل به ، فلم يكن همهم مجرد حفظ الألفاظ ، بل فهم المعاني والالتزام بها أمرا ونهيا ، وتطبيقه على حياتهم أولا بأول كما قال ابن مسعود ﷺ : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن ، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن [١٢٧] .

لقد اتخذ الصحابة ﷺ القرآن منهاجا لحياتهم ، منه يستمدون واليه يرجعون ، وعليه يعتمدون ، وكلما نزل شيء منه سارعوا إلى تنفيذه دون إبطاء أو تردد ، وهذا ما شهدت به وقائع حياتهم المشرقة [١٢٨] ، اقتداءا بأخلاق القرآن الفاضلة وأسوة برسول الله ﷺ فقد سئلت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت – وما ابلغ ما قالت – أن خلق النبي ﷺ كان القرآن [١٢٩] فعلى صاحب القرآن : أن يكون مرآة يرى الناس فيها عقائد القرآن وقيمه وآدابه وأخلاقه ، وان يتلو القرآن فتصدقه آياته ، ولا يتلو القرآن فتلعنه آياته .

قال ابن مسعود ﷺ : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا – من الحدة والغضب – .

وقال بعض السلف أن العبد ليفتتح سورة ، فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه الملائكة حتى يفرغ منها ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال إذا أحل حلالها وحرم

حرامها ، صلت عليه ، وإلا لعنته ، وقال بعض العلماء : ان المرء ليتلو القرآن فيلعن نفسه ، وهو لا يعلم يقول : إلا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم ، إلا لعنة على الكاذبين وهو منهم .

وهذا معنى قول انس بن مالك ﷺ رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه ، وقال بعضهم : أنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل ، وجعلتم الليل جملا ، فانتم تركبونه ، فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار .[١٣٠]

ولا غرو أن كان قراء القرآن من الصحابة أول الناس في صفوف الصلاة في المسجد ، وأول الناس في صفوف الجهاد في الميدان ، وأول الناس فعلا للخير في المجتمع ﷺ .

ولهذا قال ابن عمر ﷺ : كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة ، لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ، ورزقوا العمل بالقرآن ، وان آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن ، منهم الصبي والأعمى ، ولا يرزقون العمل به ، وقال معاذ بن جبل ﷺ : اعلموا ما شئتم أن تعلموا ، فلن يأجركم الله بعلمكم حتى تعملوا . [١٣١]

المطلب الثاني

بعض المشاهد لاستجابة الصحابة للقرآن وانتهائهم عما حرم

أولا : استجابتهم للقرآن

أ- استجابتهم لدعوة الإنفاق : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [١٣٢] ذكر ابن كثير في تفسيره عن انس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر الناس بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله إليه (بيرحاء) – اسم حديقة له – وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ، ويشرب من ماء فيها طيب ، قال انس : فلما نزلت (لن تنالوا البر ...) قال أبو طلحة : يا رسول الله إن الله يقول (لن تنالوا البر ...) وان أحب أموالي إليّ بيرحاء ، وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى ، فضمها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال النبي ﷺ (بخ بخ ، ذاك مال رابح ، وقد سمعت ، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين) فقال أبو طلحة : افعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه .[١٣٣]

ب- استجابتهم لدعوة نداء الجهاد في سبيل الله : قال تعالى ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [١٣٤] من روائع استجابة الصحابة للقرآن ما سطره التاريخ لمواقف الصحابة ﷺ حين دعاهم القرآن للجهاد لمثل هذه الآية وغيرها .

- فلقد وجدنا الرجل وابنه يتنافسان على الغزو حتى يقترع الرجل وابنه مثل (سعد بن خيثمة وأبيه) أيهما يخرج للجهاد ؟ وأيهما يبقى لشؤون البيت والأسرة ؟ فإذا فاز الابن

بالقرعة قال له أبوه : آثرني بها يا بني ، فيقول له : يا أبت ، إنها الجنة ، ولو كان شيء غيرها لآثرتك .

- ونجد شيخا أعرج كـــ (عمرو بن الجموح الأنصاري) يأبى إلا أن يخرج للمشاركة بغزوة احد مع أن الله عذره في كتابه حين قال : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (١٣٥) ، ومع أن له أربعة بنين يشهدون المعارك خلفا له مع رسول الله ﷺ ، ولكنه يسعى وراء أمنية غالية هي الشهادة وقد حققها الله تعالى له (١٣٦) .

ثانيا : انتهاؤهم عما حرمه القرآن

وفي مجال المنهيات والمحرمات يحسن بي أن اذكر موقفين لامعين أيضا هما من أروع المواقف التاريخية في المسارعة إلى الانقياد لشريعة القرآن واجتناب ما نهي عنه بلا تردد ولا إبطاء :

أ- موقفهم من تحريم الخمر : بعد أن تدرج الشرع الحكيم في تحريمها إلى أن نزلت الآية الفاصلة من سورة المائدة تحرمها تحريما باتا بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٣٧) ، وقد لبى الصحابة ﷺ هذا الأمر فقالوا : انتهينا يا رب ، انتهينا يا رب .

فقد كان موقف الصحابة من هذا التحريم لما اعتادوه وألفوه يمثل أسمى ألوان الطاعة والاستجابة لأمر الله فعندما بلغهم – تحريم الخمر – أراقوا ما عندهم في الطرقات ، بل حطموا الأواني التي كانت توضع فيها الخمر فعن انس بن مالك قال : بينما أنا أدير الكأس على – أبي طلحة وأبي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبي دجانة – حتى مالت رؤوسهم منه فسمعنا مناديا ينادي : أن الخمر قد حرمت ، قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج ، حتى اهرقنا الشراب ، وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا ، ثم خرجنا إلى المسجد ، وإذا برسول الله ﷺ يقرأ الآية (١٣٨) .

ب- موقف النساء المسلمات الأول مما حرمه القرآن عليهن من التبرج : لم يكن تأثير القرآن على الرجال وحدهم ، بل كان تأثيره على الرجل والمرأة سواء ، وهنا تروي السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كيف استقبل نساء المهاجرين والأنصار في المجتمع الإسلامي الأول هذا التشريع الإلهي الذي يتعلق بتغيير شيء مهم في حياة النساء وهو الهيئة والزينة والثياب .

فقالت السيدة عائشة : يرحم الله النساء المهاجرات الأول ، لما انزل الله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (١٣٩) شققن مروطهن – أكسية من صوف أو خز – فاختمرن بها .

وجلس إليها بعض النساء يوما ، فذكرت نساء قريش وفضلهن ، فقالت : أن لنساء قريش لفضلا واني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، ولا اشد تصديقا لكتاب الله ، ولا إيمانا بالتنزيل ، لقد أنزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما انزل الله إليهن فيه ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وكل ذي قرابة ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحّل – المزخرف الذي فيه تصاوير – فاعتجرت به – شدته على رأسها – تصديقا وإيمانا بما انزل الله من كتابه ، فأصبحنا وراء رسول الله ﷺ (معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان)[١٤٠] .

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن ، موقف المسارعة إلى تنفيذ ما أمر الله ، واجتناب ما نهى ، بلا تردد ولا توقف ولا انتظار ، رضي الله عنهن .

الخاتمة والاستنتاجات

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه أنجزت هذا البحث ، وقد تمضخ عن نتائج أوجزها بما يأتي :

١- لفظ التلاوة له مدلولان هما :

أ- بمعنى القراءة : يقال تلوت القرآن تلاوة ، أي قرأته ، والتلاوة بمعنى القراءة من أعظم خصائص القرآن الكريم إذ هو المتعبد بتلاوته .

ب- بمعنى الإتباع : يقال تلوته إذا تبعته ، والمراد بالإتباع أمران : احدهما الإتباع اللفظي ، وثانيهما الإتباع العملي ، ونخلص مما سبق : أن لفظ التلاوة يشمل المعنيين معا (القراءة والإتباع) فيقرؤونه حق قراءته ويتبعونه حق إتباعه .

٢- في أهمية التلاوة القرآنية في التبليغ النبوي فقد أُمر النبي ﷺ بمداومة تلاوة القرآن والحرص عليها في آيات عديدة ، ولذا فلم يكن هم للنبي ﷺ في الصباح وفي المساء إلا تبليغه تلاوة وتعليما

٣- اتضح من خلال بحثي في آداب تلاوة القرآن أن من أهم تلك الآداب الظاهرة هو (الترتيل) وأما الآداب الباطنة فمن أهمها (التدبر) ذلك لان المسلمين كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبدون كذلك بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية .

٤- وفي إتباع القرآن والعمل به تبين : أن بركة القرآن حقا في إتباعه وتطبيقه قولا وعملا ، وهذا ما ذكره القرآن نفسه حين قال ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأنعام ١٥٥]

٥- يظهر أن كثيرا من المسلمين يحفظون كلام الله عن ظهر قلب ، ويتلونه ويستمعون إليه صباح مساء ، وبعضهم الآخر يتبركون بحمله في جيوبهم وفي سيارتهم ... ومع هذا كله تراهم مقصرين في حق القرآن ابلغ تقصير ، ذلك أن مظاهر العناية بالقرآن اليوم في جملتها تتصل بالشكل لا بالجوهر ، وبالصورة لا بالحقيقة .. فرجعوا القهقرى .

٦- أما الرعيل الأول من سلف هذه الأمة وصالحيها ، فقد اتخذوا القرآن منهاجا لحياتهم فلم يكن همهم مجرد حفظ الألفاظ ، بل فهم المعاني والالتزام بها أمرا ونهيا وتطبيقها على حياتها أولا فأول ، وقد ضربوا أروع الأمثلة في استجابتهم لكتاب الله وانتهائهم عما حرمه عليهم بلا تردد ولا تسويف ، وهذا ما شهدت به وقائع حياتهم المشرقة .

وختاما : أسال الله تعالى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ، سائلا المـــولى العظـــيم أن يجعلـــه خالصا لوجهه الكريم ، وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه انه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين * وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمـــد خـــاتم الأنبياء والمرسلين * وعلى آله وأصحابه أجمعين

الهوامش والتعليقات

ملاحظة : سأذكر هنا المعلومات كاملة عن المصدر والمرجع عند وروده لأول مرة ، مما يغنينا عن إعادة

قائمة للمصادر والمراجع

١- آل عمران : ٩٣

٢- ينظر : فتح الباري – شرح صحيح البخاري : للإمام : شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ ، حقق أصولها : عبد العزيز بن باز ، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م (١٣ / ٥١٠) .

٣- الصافات : ٣ .

٤- البقرة : ١٠٢ .

٥- عطاء : هو عطاء بن اسلم أبي رباح ، من خيار التابعين ، مات بمكة سنة ١١٤ هـ ، ينظر : الأعلام : لخير الدين الزركلي ، ت ١٤١٠هـ – ١٩٧٦م ، ط ٥ دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٩ م (٥ / ٤٢٩) .

٦- التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين احمد بن محمد الهائم المصري ت ٨١٥ هـ ، تحقيق د.فتحي أنور الدابولي ، ط ١ دار الصحابة للتراث – طنطة – القاهرة ١٩٩٢م (٨٢) .

٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن : لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، دار القلم – بيروت (١٠٤/١) .

٨- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن : محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م (٣٦٩/١) .

٩- يونس : ٣٩ .

١٠- حمزة : هو حمزة بن حبيب الزيات ، احد القراء السبعة ، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٦هـ ، ينظر : العبر في خبر من غبر : لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، ط٢ مطبعة حكومة الكويت – ١٩٤٨م (١١١/١- ١١٨) .

١١- الكسائي : علي بن حمزة ببن عبد الله ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، واحد القراء السبعة المشهورين ، سمي بالكسائي لأنه احرم في كساء ، توفي ١٨٩هـ وقيل غير ذلك ، ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ٩١١هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر ١٩٦٤م (١٦٢/٢) .

١٢- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ ، دار الفكر ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م (٢٧٨) .

١٣- تنزيه القرآن عن المطاعن : قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن احمد ت ٤٠٥هـ ، طبعت على نفقة محمد سعيد الرافع – صاحب المكتبة الأزهرية ، ط١ ١٣٢٩هـ – مطبعة الجمالية – مصر (١٨) .

١٤- ينظر : معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية – بيروت (١٨١/١) .

١٥- المصدر نفسه : (١٨١/١) .

١٦- ينظر : مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ت بعد ٦٦٦هـ تحقيق : محمود خاطر ، ط١ مكتبة لبنان – ناشرون – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م (٢٣) ، ولسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ت ٧١١هـ ، ط١ دار صادر – بيروت – لبنان ، ١٩٦٨ م (مادة تبع) .

١٧- ينظر : لسان العرب : مادة (تبع) .

١٨- ينظر : جمال القراء وكمال الإقراء : لعلم الدين علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣هـ تحقيق : د.علي حسين البواب ، مكتبة التراث – مكة المكرمة ، ط١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م (٩١/١).

١٩- القيامة : ١٨ .

٢٠- البقرة : ٤٤ .

٢١- ينظر : لسان العرب : (مادة تبع) .

٢٢- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، أمير المؤمنين في الحديث ، ت ١٦١هـ ينظر : الأعلام للزركلي (٣ /١٥٨) .

٢٣- هو مسعود بن مالك الاسدي الكوفي ، ثقة فاضل ، من رواة الخمسة والبخاري في الأدب ينظر : تقريب التهذيب : للإمام احمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد – سوريا ، ط١ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م (٣٥١) .

٢٤- البقرة : ١٢١ .

٢٥- تفسير سفيان الثوري : للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري ت ١٦١هـ ، تحقيق : امتياز علي عرشي ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م (٤٨) .

٢٦- هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي من أهل البصرة ، ولد ضريرا ، احد المفسرين والحفاظ للحديث ت ١١٨هـ ، ينظر : الأعلام للزركلي : (٢٧/٦) .

٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري : (١٣ /٥١٠) .

٢٨- هو محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، فقيه شافعي أصولي متكلم متصوف ت ٥٠٥ هـ ينظر : الأعلام للزركلي : (٢٤٧/٧) .

٢٩- أحياء علوم الدين : الإمام محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ ، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (٢٨٨/١) .

٣٠- ينظر : تفسير القرطبي : (٣٢٧/٦) .

٣١- ينظر : لسان العرب : (مادة بلغ) .

٣٢- النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السعادات مجد الدين ابن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ ، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ط١ المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م (١ /١٥٢) .

٣٣- ينظر : لسان العرب : مادة (بلغ) .

٣٤- المصدر نفسه .

٣٥- الأنعام : ١٩ .

٣٦- الأنعام : ٩٢ .

٣٧- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ، دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ (١٥٧/٢) .

٣٨- الفرقان : ١ .

٣٩- البينة : ٢ .

٤٠- الطلاق : ١١ .

٤١- ينظر : تفسير القرطبي (٩٢/١٨) .

٤٢- النمل : ٩١- ٩٢ .

٤٣- العنكبوت : ٤٥ .

٤٤- تفسير القرطبي : (٣٤٧/١٣) .

٤٥- قطف الأزهار في كشف الأسرار : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ ، تحقيق احمد بن محمد الحمادي ، إصدار – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م (٣٣) .

٤٦- إتحاف البرية في التعريفات الفقهية والأصولية : د.يحيى مراد ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م (٢٠٠) .

٤٧- فاطر : ٢٩-٣٠ .

٤٨- آل عمران : ١١٣ .

٤٩- رواه الترمذي : (٣٩١٢) وقال حسن صحيح ، الجامع الصحيح سنن الترمذي : للإمام محمد بن سؤرة الترمذي ت ٢٧٩هـ ، مراجعة : احمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٥٠- رواه الترمذي : (٢٩٢٦) وقال حسن غريب

٥١- فصلت : ٢٦ .

٥٢- النحل : ٩٠ .

٥٣- قال الزبيدي في شرح الإحياء : رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد جيد ، ينظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: تصنيف العلامة السيد محمد الحسيني الزبيدي ، دار الفكر (٤ / ٤٦٧) .

٥٤- ينظر : كيف نتعامل مع القرآن العظيم : د. يوسف القرضاوي ، دار الشروق ط١ ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م (١٥٨) .

٥٥- ينظر : إحياء علوم الدين : (٢٧٦/١) وما بعدها ، والتبيان في آداب حملة القرآن : للإمام أبي زكريا يحي بن شرف الدين النووي ت ٦٧٦هـ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن – القاهرة (٥٣) وما بعدها ، والإتقان في علوم القرآن : لعبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ ، حققه وعلق عليه : فواز احمد زمرلي ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م (٢٥٦) وما بعدها .

٥٦- وذكرتهما معا في هذا المبحث لان المقصود من القراءة التفكر والتدبر في معاني ما يقرا ، والترتيل معين له ، إذ الترتيل في الظاهر إنما رغب به ليتمكن من التدبر في الباطن : ينظر : إتحاف السادة المتقين : (٤/ ٤٧٨ و ٥٠٥) .

٥٧- هود : ١ .

٥٨- تفسير القرطبي : (١٧/١) .

٥٩- المزمل : ٤ .

٦٠- الإتقان : (٢٦٤) .

٦١- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت ٧٩٤ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – بيروت ١٣٩١هـ (٤٤٩/١) .

٦٢- ينظر : كيف نتعامل مع القرآن العظيم : (١٥٩) .

٦٣- رواه أبو داود (١٤٦٦) ، سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت ٢٧٥هـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، والترمذي (٢٩٢٤) وقال حسن صحيح غريب .

٦٤- رواه البخاري : فتح الباري (٩١/٩) .

٦٥- رواه البخاري : فتح الباري (٢٥٥/٢) ومسلم (٨٢٢) ، صحيح مسلم : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٦٦- الإتقان : (٢٦٤) .

٦٧- ينظر : النشر في القراءات العشر : لأبي الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري ٨٣٣هـ ، صححه وراجعه : علي محمد الضباع ، ط٢ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨ (٢٠٧/١ – ٢٠٨) والإتقان : (٢٦٤) ، والتبيان في آداب حملة القرآن (٦٥) .

٦٨- ينظر : البرهان (٤٥٠/١) .

٦٩- إحياء علوم الدين : (٢٧٨/١) .

٧٠- ينظر : إتحاف السادة المتقين (٥٠٤/٤-٥٠٥) .

٧١- ص : ٢٩ .

٧٢- النساء : ٨٢ .

٧٣- الإتقان : (٢٦٥) .

٧٤- رواه أبو داود (٨٧٣) والترمذي (٣١٥) .

٧٥- ذكره أبو طالب في القوت ونقله عنه الغزالي ، ينظر : الإتحاف : (٤٧٨/٤) .

٧٦- كيف نتعامل مع القرآن العظيم : (١٧٠) .

٧٧- المائدة : ١١٨ .

٧٨- رواه النسائي : (١٧٧/٢) ، سنن النسائي الكبرى : أبو عبد الله احمد بن شعيب بن علي النسائي ت ٣٠٣هـ ، تحقيق : عبد الغفار سلمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٧٩- الجاثية : ٢١ .

٨٠- رواه أبو عبيد في الفضائل وابن أبي داود في الشريعة ومحمد بن نصر في قيام الليل والطبراني في الدعاء ، الإتحاف (٥٠٦/٤) .

٨١- طه : ١١٤ .

٨٢- رواه ابن أبي داود بسند صحيح : ينظر : الإتحاف (٥٠٦/٤) .

٨٣- الطور : ٢٧ .

٨٤- رواه احمد ورجاله ثقات من رواة الصحيحين ، الإتحاف : (٥٠٦/٤) .

٨٥- المصدر نفسه : (٥٠٦/٤- ٥٠٧) .

٨٦- ينظر الإتقان : (٢٤٩) .

٨٧- الواقعة : ٧٩ .

٨٨- مريم : ١٢ .

٨٩- ينظر : إحياء علوم الدين : ١ / ٢٨١ -٢٨٣ ، وإتحاف السادة المتقين : ٥٠١/٤ – ٥٠٤ .

٩٠- يوسف : ١١١ .

٩١- هود : ١٢٠ .

٩٢- البقرة : ٢٣١ .

٩٣- الأنبياء : ١٠ .

٩٤- النحل : ٤٤ .

٩٥- آل عمران : ١٣٨ .

٩٦- الأنعام : ١٩ .

٩٧- هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي الكوفي ، ت ١٠٨ هـــ ، كان من أفاضل أهل المدينة علما وفقها ، ينظر : تهذيب التهذيب : احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط ١ دار الفكر – بيروت ١٩٨٤م (٩ /٤٢١) .

٩٨- الإسراء : ٨٢ .

٩٩- طه : ٨٢ .

١٠٠- طه : ٨٢ .

١٠١- العصر : ١-٣ .

١٠٢- الأعراف : ٥٦ .

١٠٣- النساء : ٤١ .

١٠٤- إسناده صحيح ، أخرجه البخاري : ٦/ ٢٤٣ ، مسلم : ٨٧/٦ .

١٠٥- الممتحنة : ٤ .

١٠٦- إبراهيم : ١٢ .

١٠٧- هود : ١٨ .

١٠٨- الصف : ٣ .

١٠٩- الأنبياء : ١.

١١٠- النجم : ٢٩ .

١١١- الحجرات : ١١ .

١١٢- البقرة : ٧٨ .

١١٣- يوسف : ١٠٥ .

١١٤- آل عمران : ١٨٧ .

١١٥- ذكره أبو طالب في القوت ، ونقله عنه الغزالي ، وقال العراقي متفق عليه ، ينظر : إتحاف السادة المتقين : ٤ /٥٢٠ .

١١٦- الأنفال : ٢ .

١١٧- ينظر : الإحياء : ١ / ٢٨٦ – ٢٨٨ .

١١٨- الذاريات : ٥٠ .

١١٩- الذاريات : ٥١ .

١٢٠- ينظر : الإحياء : ١ /٢٨٩ .

١٢١- آل عمران : ٣١ .

١٢٢- مختار الصحاح : (٧٤ – ٧٥) .

١٢٣- الأنعام : ١٥٥ .

١٢٤- كيف نتعامل مع القرآن العظيم : (٤٠٥) .

١٢٥- الأنعام : ١٥٥ .

١٢٦- كيف نتعامل مع القرآن العظيم : (٤٠٨) .

١٢٧- رواه الطبري في مقدمة تفسيره ، وقال الشيخ شاكر في تخريجه هذا إسناد صحيح (٨/١) وهذا موقوف لفظا مرفوع معنى لان يتحدث عن عصر النبوة ، فان الذي كان يعلمهم هو رسول الله ﷺ ، ينظر : كيف نتعامل مع القرآن العظيم : (٤١١)

١٢٨- وهذا ما سأبينه في المطلب الثاني إن شاء الله من هذا المبحث .

١٢٩- روا مسلم : (٧٤٦)

١٣٠- ذكر هذه الآثار الغزالي في الإحياء : ١ /٢٧٥ – ٢٧٦ .

١٣١- ذكرهما القرطبي في مقدمة تفسيره : ١/ ٣٤ .

١٣٢- آل عمران : ٩٢ .

١٣٣- رواه احمد والشيخان كما ذكره ابن كثير (١ /٣٨١).

١٣٤- الحج : ٧٨ .

١٣٥- الفتح : ١٧ .

١٣٦- وهناك روايات أخرى ذكرها القرطبي في تفسير آية (انفروا خفافا وثقالا من سورة التوبة ٩٩) .

١٣٧- المائدة ٩١ .

١٣٨- جامع البيان : للإمام محمد بن مجاهد الطبري ت ٣١٠ هـ (٣٧/٧) .

١٣٩- النور : ٣١ .

١٤٠- ذكره ابن كثير في تفسيره : (٢٨٦/٣) .